بوعك إلى العناصر بأكل أبنائك الذين يضجون وهم في الهول
ن يديك بالثناء والرغاء ، والزئير والطنين ، والهديل والنعيب ،
غيرها من أصوات الحيوان الأبكم . وبالدعاء والبكاء من الحيوان
ناطق : ابنك البكر الذي دللته وعززته وأعطيته مصباحا
مفتاحا زعم بهما أنه إلهك ! وجعل قضيتك كلها « معادلة
جبرية » في نصف سطر من قلمه العجيب الذي يجعل الدنيا كلمات
أرقاما ... ! حينذاك أحاول أيضاً أن أقترب منك في غضبك
أرى عبقرية الإماتة والتخريب فيك كما رأيت إبداع الإيجاد
التكوين ، ولأرى الدنيا صوراً من القبح والبشاعة والقسوة
الفوضى كما رأيتها صوراً من الجمال والانسجام والنظام ...

* * *

ولكنك تحتجبين عنا حين تبدلين الثياب لتخفي عوراتك
سوآتك وشناعاتك ، فتقتلين كل ذي عين حتى لا يراك فيقسم
لا يقترب ولا يعشق ولا يفنى في مظاهر خداعك وطلاء حقيقتك،
ترسلين نارك التي تحرق دائما ، وماءك الذي يغرق دائماً ، وقوارعك
تي تحطم دائماً . . . فلا مطمع لأحبابك في رشوتك بالحب
الشعر ، ولا محسوبية ولا شفاعة أمام قوانينك الصارمة . !

* * *

وهأنذا أبحث عن حرز حريز فيما وراء يدك المخربة ، أحفظ
ه قبري وأختبئ فيه وأرصد منه دائماً حركة التجدد ورجوع
شباب والجمال إلى ديباجتك ، واحتفالك لغير عيني من عيون
شباب الشعراء المقبلين . . . وهم يسكبون في سمعك ما أسكبه
آن من كلمات الهوى والغزل .. ويقولون لك : « ياذات الشباب
تجدد . . اسبغي علينا من شبابك وأرضعينا يا أمنا من إكسير
لخلد . . . » فأناديهم من مكاني البعيد الذي لا سلطان لك عليه
ئلا : أيها الطامعون في الخلود مع هذه العجوز المتجددة ...
تطمعوا أن تعطيكم ما بخلت به على من قبلكم من بنيها ... إنها
تسمح لأحد بالبقاء الكثير حتى لا يحتويها ويكفر بجمالها ، فابحثوا
ن مثل هذا المكان الحريز الذي أناديكم منه ... واقنعوا أن
كون حظ أحدكم منها قبراً معلوماً في القبور ، يقف أمامه أبناؤها
لاحقون ويشيرون إليه قائلين : هنا يرقد قلب شاعر عرف أمنا
مكان يشترى فيها الحبر بالذهب ... فاسكبوا على قبره كأساً منه..!

عبد المنعم خلاف

أطفال الطبيعة

للأستاذ محمد عبد اللطيف السحرتي

لم تكن إلا زقزقة العصافير تطوف بأثير نفسي ، وأنا عائد إلى البلدة في طريق الحبيب الذي تحتضنه أشجار الكافور الخضراء الفارعة — لم يكن أعذب لنفسي من زقزقة تلك العصافير التي مازجت أصواتها أحلامي ، وأنعشت ألحانها إلهامي — في هذه الساعة السعيدة طابت أحلامي ، وتَبَسَّل حديثي مع نفسي ، ولم يكن يهزني إلا مرأى الفلاحين المساكين ، وهم يكدحون حول الوادي في صبر وقناعة وأحلام مضطربة ... ثم تعاودني أصوات العصافير فتمحى مادوم بنفسي من هزات الأسى ، وتنقل إلى شعورها الفرح ، وتبعث فيّ سعادتها البريئة .

يا إلهي ، لكأنك خلقت العصافير للطبيعة أطفالاً كما خلقت للناس أطفالهم ! وشتان بين أطفالها وأطفالنا ! فأطفالها في طفولة خالدة ، وأطفالنا بعد عمر قصير يكبرون ، فتنداح براءتهم وتنمحي شفافة نفوسهم !

هؤلاء الأطفال الخالدون يُنَبِّلونَ انفعالاتنا ، ويطهرون نفوسنا من هموم الأعمال اليومية ، ويخلقون لنا جواً روحياً ساجياً ينعم في بحبوحته الأدباء والشعراء ، ويلقون علينا دروساً روحية ثمينة . ولقد ألقت عليّ عصفورة درساً خلقياً بليغاً ، وأنا في حديقة « مونسو » البديعة بباريس ، عند ما كنت ألقي لها فتات الخبز ، فكانت وهي تتناوله تنادي أخواتها لتشاطرها الغذاء ، وهذا درس في الايثار يلقيه علينا هؤلاء الأطفال الكرام

ولكم أحب الأدباء هؤلاء الأطفال الأعزة ، ومن بين هؤلاء الأديب الفرنسي كوبيه في قطعته « موت العصافير » التي يُظهرُ فيها إشفاقه عليها ويبدي تخوفه من مفاجأة الموت لها في الشتاء ، ويسائل في انفعال وهزة : « هل العصافير تختفي لتموت ؟ » .

والذي نعلم أن العصافير تختفي في مكان أمين ، وأنها في الجو الطليق تجد أماناً من الموت ولا تخشاه ، وإنما هي تخشى الانسان ، وهي إذ تمرح في أمن وإيمان ، وتحمل الغذاء في كل مكان ، وتستقبل الشمس في الصباح وتودعها في الغروب ، إنما تحمل للانسان رسالة الفرح والبراءة والجمال ، والحياة الطويلة ، إن لم أقل الخالدة !